مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- المركز الجامعي بغليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 06/ العدد: 03 (2020) - ص 227- 237

الفعل الكلامي غير المباشر في عيون البصائر للبشير الإبراهيمي

Indirect verbal action in the eyes of the insights of Bashir Brahimi

بن عياد فتيحة
جامعة مصطفى اسطمبولي معسكر/ الجزائر
fatiha.benayed@univ-mascara.dz

تاريخ الاستلام: 2019/09/07 تاريخ القبول: 2020/04/08 تاريخ النشر: 2020/06/01

ملخص البحث:

تعد نظرية الأفعال الكلامية من بين المفاهيم القاعدية التي يقوم عليها المنهج اللساني التداولي، الذي يهدف إلى دراسة الاستعمال اللغوي و كيفية تحقيق التواصل اللغوي بين المتخاطبين وفهم مقاصدهم، وطريقة إنتاجهم لفعل تواصلي أو فعل كلامي في إطار موقف كلامي ملموس ومحدد يتم من خلاله التعامل مع المعاني التي يتغاضى عنها علم الدلالة، فالتداولية بهذا المعنى فعل تواصلي مرتبط بالوظيفة المرجعية التي تضع المرسل إليه في مواجهة مع المرسل؛ كي يتحمل مسؤولية الفعل الكلامي، لهذا ركزت التداولية على دراسة الأساليب الكلامية ومراقبة الآثار الدلالية المرتبطة بالمواقف المقامية.

كلمات مفتاحية: الفعل الكلامي المباشر، الفعل الكلامي غير المباشر، الخطاب، القوة الإنجازية.

ABSTRACT:

The theory of acts of speech is one of the main basic concepts of the pragmatic linguistic approach, which aims at studying language in use and the methods used to achieve the linguistic communication among the interlocutors, as well as understanding their intentions and the way they produce a communicative act whithin a specefic and concrete situation through which we deal with the meanings that are marginalized by semantics. Pragmatics –in this sense- is a communicative act related to the referential function which makes the receptor in front of the sender in order to take his responsibility of the act of speech.

Key words: direct act of speech , indirect act of speech, discourse, Illocutionary act: receptor

توطئة

عرفت نظرية الأفعال الكلامية في إطار التصور اللساني التداولي الحديث تحولات كبرى من حيث المنطلقات الفنية والتأسيسية؛ إذ مرت بمرحلتين أساسيتين أثناء تطورها؛ تمثلت المرحلة الأولى في الفعل الكلامي المباشر من خلال مقالات " جون أوستينJohn Austin" التي نشرت بعد وفاته بعنوان

" كيف نصنع الأشياء بالكلمات ؟" سنة 1962 إضافة إلى كتاب "سيرل John Searle " بعنوان " الأفعال الكلامية " سنة 1972 .

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة الفعل الكلامي غير المباشر التي تبلورت في مقال "غرايس Grice " بعنوان " المنطق والتخاطب " سنة 1975 و بالأخص في مقالة "جون سيرلJohn Searle " " الأفعال اللغوية غير المباشرة سنة 1975[1]. ومن ثمة تجدر بنا الإشارة إلى الوقوف على محطتين جوهريتين في الاهتمام بطبيعة الفعل الكلامي وحيثياته وهي:

1 . ماهية الفعل الكلامي المباشر:

تلخص في تلك الأفعال : «التي يتلفظ بها المرسل في خطابه وهو يعني حرفيا ما يقول، وفي هذه الحالة فإن المرسل يقصد أن ينتج أثراً إنجازياً على المرسل إليه، ويقصد أن ينتج هذا الأثر من خلال جعل المرسل إليه يدرك قصده في الإنتاج» [2] .

وعليه فالفعل الكلامي المباشر هو الفعل الصريح في الدلالة على الغرض الإنجازي من الكلام إخباراً، أو طلباً أو أمراً أو استفهاماً، والذي يتطابق فيه معنى الجملة ومعنى القول، كما أنه الفعل الذي يدل على صيغ الجمل وأساليب تعبير ظاهرة مباشرة خالية من الغموض.

2. ماهية الفعل الكلامي غير المباشر

يقول " جون سيرل John Searle "في حديثه عن الفعل الكلامي الحرفي وآخر غير الحرفي: «أبسط حالات الخطاب هي تلك التي ينطق فيها المتحدث جملة بمعنى ما يقوله بالضبط وبصورة حرفية. في هذه الحالة ، يعتزم المتكلم إحداث تأثير غير مباشر على المستمع ، ويسعى في إنتاج هذا التأثير إلى جعل المستمع يتعرف على نيته أو رغبته بطريقة مباشرة؛ بالإضافة إلى ذلك ، يسعى أن يعرّف المستمع بهذه النية بحكم علمه بالقواعد التي تحكم النطق بالحكم»[3]، فـ " سيرل Searle " هنا يقصد بأبسط حالات الخطاب الأفعال الكلامية المباشرة والحرفية، ثم يقول : «لكن الجميع يعلم أن الخطابات ليست كلها بهذه البساطة ، فقد تكون غير مباشرة في حالات مثل التلميحات والسخرية والاستعارة»[4]، التي لا يمكن إدراك فعل الكلام فيها بطريقة مباشرة من خلال فهم المعنى الحرفي، لأنه ينزاح إلى معنى آخر هو المقصود، فحسب " سيرل Searle" : « معنى التلفظ يكون لدى المتكلم، أما معنى الجملة، فهو مندرج في إطار النظام اللساني الذي تنتمي إليه الجملة»[5]؛ أي في السياق الذي وردت فيه، والذي تنتج عنه دلالات متنوعة، ويسمى هذا النوع الأخير الأفعال الكلامية غير المباشرة وهي: «الأفعال ذات المعاني الضمنية التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة، ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها، وهي تشتمل على معان عرفية وحوارية »[6]؛ أي التي تتحقق بواسطة قوة إنجازية مستلزمة، وقيل عنه «إذا ما تم القيام بفعل ما داخل في القول بواسطة فعل آخر داخل في القول، فالفعل الأول يسمى فعلا كلاميا غير مباشر Indirect speech act »"[7] . وهناك من يعد الأفعال الكلامية غير المباشرة «استراتيجية تلميحية يعبر بها المرسل عن القصد بما يغاير معنى الخطاب الحرفي، لينجز بها أكثر مما يقوله، إذ يتجاوز قصده مجرد المعنى الحرفي لخطابه، فيعبر عنه بغير ما يقف عنده اللفظ مستثمرا في ذلك عناصر السياق»[8] .

ومن ثمة فالركن الأساس في عملية الفهم الصحيح للأقوال والخطابات التي تشمل أفعالا كلامية غير مباشرة هو السياق الذي جاءت فيه هذه الملفوظات باعتباره الحاوي لكل ملابسات وظروف انتاج الخطاب. ونظرا لأهمية هذا الصنف من الأفعال الكلامية أفاض " جون سيرل John Searl" في الحديث عنه والسعي إلى تطويره ويعتبر هذا بمثابة العمل الضخم الذي أضافه إلى محاولات أستاذه "جون أوستين John Austin".

3. تصور "جون أوستين John Austin "للأفعال الكلامية غير المباشرة:

يرى "جون أوستين John Austin" أن أساس إنجاز فعل الكلام هو الجانب الصريح المباشر لذلك خصص مساحة واسعة للحديث عنه في كتابه " **كيف ننجز الأشياء بالكلمات** How to do Things with Words " وانصرف عن الاهتمام بالجانب الأولي المتمثل في الأفعال غير المباشرة [9]. وهذا لا يعني أنه لم يعترف بوجودها بل أدرك «أن هناك أفعالا لا يمكن أن تنجز غرضا من خلال اللفظ فقط بصورة مباشرة؛ لأن طبيعة اللغة قد لا تسمح بذلك، وأن صور الحياة والعرف الاجتماعي اللغوي هما اللذان يتحكمان في صياغة الإنجاز؛ من ثم يتخذ نمطا محددا قد يبعده عن الشكل المباشر» [10] . هذا ما جعله يقسم الأفعال إلى صريحة **(Explicit performatives**) وأولية **(Primary performatives)** وهي ذات طابع غير مباشر وهو «يعتقد بأن هذه الأفعال الأولية أسبق في وجودها التاريخي من الأفعال الصريحة » [11].

في حين أن هناك من الباحثين من اهتم بهذا الصنف وسار بخط متواز في الجانبين المباشر وغير المباشر.

4 . تصنيف " جون سيرل John Searl" للأفعال الكلامية غير المباشرة:

يبدو تصنيف "جون أوستين John Austin" للأفعال الكلامية إلى صريحة وأولية تصنيفا مفتوحا ومرنا، مما جعل " جون سيرل John Searl": يخطو خطوة مكملة محاولا توسيع هذا التصنيف واقتراح تصنيف آخر مشابه أسماه "المباشر وغير المباشر" فهو يرى أن الأفعال المباشرة هي: «التي يكون معناها مطابقا لما يريد المرسل أن ينجزه مطابقة تامة والدالة على قصده بنص الخطاب» [12]. وهو ما سبق لنا التفصيل فيه، أما الأفعال غير المباشرة فهي: «أقوال يرمي من خلالها المتكلم إلى التعبير بشكل ضمني عن شيء آخر غير المعنى الحرفي مثلما هو الشأن في التلميحات و السخرية و الاستعارة وحالات تعدد المعنى» [13]. وهنا يتدرج الخطاب من المعاني الحقيقية إلى المعاني المجازية و تمثل الاستعارة والأقوال المجازية بكل أنواعها فعلا كلاميا غير مباشر. و من أجل تفسير الجملة الاستعارية ميز " جون سيرل John Searle": بين معنى المتكلم الذي يقصده، ومعنى الجملة، وهذان المعنيان لا يتطابقان، فالمتكلم يقول شيئا ويقصد شيئا آخر، وقد حدد في هذا المقام مصطلحين أساسيين استخدمهما في معالجة مسألة الاستعارة، وهما مصطلح **(معنى منطوق المتكلم)** و**(معنى الجملة)** ورأى أن المعنى الاستعاري هو معنى منطوق المتكلم، كما لو قلت: "**زيدٌ أسدٌ**" فأنا أريد بذلك القول مدحه ووصفه بالشجاعة.

ومن صور الإنجاز غير المباشر ما يقوله المتكلم، وهو يقصد ما يقول، بالإضافة إلى أنه يقصد شيئا آخر ومن أمثلة ذلك ما أورده " جون سيرل John Searle": في كتابه **"المعنى والعبارة"** هو: **هل تستطيع أن**

تناولني الملح؟ وهو ملفوظ لا يطرح به المتكلم سؤالا عن مقدرة المتلقي تقديم الملح له فحسب، بل يدعوه إلى تمكينه منه[14]. وبالتالي تحتوي الجملة على قوتين، هما السؤال بالنسبة للفعل الثانوي(ويقصد به سيرل المعنى المباشر)، والطلب أو الالتماس بالنسبة للفعل الأولي غير المباشر.

وفي حالات مثل هذا النوع الأخير ، إنه من المهم والضروري أن ننظر إلى التلفظ باعتباره طلبا أو التماسا، لا استفهاما أو سؤالا، بمعنى آخر إنّ المتكلم له قصدية إنتاج فكرة الطلب لدى المستمع[15].

من هذا المنطلق يمكن القول أن " جون سيرل John Searl" صنف الإنجازات اللغوية إلى صنفين:

1. الصنف الأول يسميه بالإنجازات البسيطة، ويقصد به المعنى الحرفي الذي يقصده المتكلم في خطابه.
2. الصنف الثاني يسميه بالإنجازات المعقدة، ويقصد به الإنجاز الذي قام به المتكلم من خلال تلفظه الحرفي وهو دلالة مدركة مقامياً، ومثال ذلك قوله تعالى: (وإنْ كُنتمْ في ريبٍ مِمَّا نَزَّلْنا على عَبدِنَا فَأتوا بِسُورةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعوا شُهَدَاءكُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ إنْ كنتم صَادِقِينَ)[16]. فالآية الكريمة تحمل قوتين إنجازيتين، قوة إنجازية حرفية يستدل عليها بمؤشرات مقالية (معجمية)، وتتمثل في معنى الأمر(فأتوا، وادعوا)، وقوة إنجازية مستلزمة مقاميا، تفتقر إلى مثل هذه المؤشرات، وتتمثل في معنى التعجيز....[17].

من ثمة أكد " جون سيرل John Searle" على أن الإنجاز غير المباشر يحتوي على قوتين إنجازيتين حرفية مباشرة وأخرى أولية غير مباشرة، وعليه فالفعل الإنجازي غير المباشر بنوعيه «محول عن الفعل الإنجازي المباشر؛ ومن ثم فإن الفعل الإنجازي غير المباشر يتضمن الفعل الإنجازي المباشر ولا ينعكس»[18]؛ أي أن الفعل الإنجازي غير المباشر يتحقق من خلال الفعل الإنجازي المباشر والعكس غير صحيح.

فالإشكالية المحورية التي تطرحها الأفعال الكلامية غير المباشرة حسب "سيرل Searle " تكمن في كيفية معرفة أنّ المتكلم يقول شيئا ما، ولكن في الوقت نفسه يقول شيئا آخر مخالف للمعنى الحرفي للجملة، إضافة إلى أن الإشكال الكبير الذي طرحه سيرلSearle يعود إلى المستمع وكيفية فهمه للملفوظ الكلامي وإدراكه أن الملفوظ يريد أن يقول شيئا آخر غير دلالته الحرفية والمباشرة.

وفي إشارته إلى ملابسات العملية التخاطبية ودورها في فهم الفعل الكلامي غير المباشر ، وهي فرضية جديدة جاء بها لتطوير فرضية كان قد جاء بها سنة 1972 لحل مشكل الأفعال الكلامية غير المباشرة، يقول سيرلSearle : فـ«ي الأعمال اللّغويّة غير المباشرة، يُطلِع المتكلِّمُ السّامعَ على أكثر ممّا يقول عمليّا وذلك بالاعتماد على معلومات الخلفيّة، اللّغويّة وغير اللّغويّة معا، المُشتَرَكة بينهما، وعلى القدرة العامّة للسّامع على العقلانيّة وعلى الاستنتاج»[19]، فهي فرضيّة لا ترى ضرورة في «المسلَّمات الحواريّة» ولا في «القوى الأمريّة المستتِرة» ولا في أيّ عناصر أخرى 'ملتبسة'. وبيّن أنّ لـ«المواضعة» شأنٌ كبيرٌ ، في بعض الحالات .وهي فرضيات عولجت من طرف " **بول غـرايس** Paul Grice" من خلال أهم مبدأين، هما:

1. الخلفية المعرفية المشتركة(المتكلم . المتلقي).
2. القدرة على الاستدلال لدى المتلقي[20].

ولتوضيح ظاهرة الفعل الكلامي غير المباشر قدم " جون سيرل John Searle" المثال الآتي:

شخصان يتحدثان، نرمز للأول بـ: (س) والثاني بـ: (ع).

. (س): رافِقني إلى السينما هذا المساء.

. (ع): عليّ أن أحضِّرَ نفسي لامتحان الغد.

فالجملة (س) تمثل فعلا كلاميا مباشرا وهو الدعوة، أما الجملة (ع) فهي تمثل فعلين كلاميين: الأول حرفي ثانوي (مباشر) وهو التحضير للامتحان والثاني أولي (غير مباشر) وهو الرفض.

5 . مساهمات " بول غرايس Paul Grice":

أشار " بول غرايس Paul Grice" إلى ظاهر الفعل الكلامي غير المباشر في محاضراته، واصطلح على تسميتها بظاهرة الاستلزام الحواري "implication conversationnelle" التي تميز كل اللغات الطبيعية؛ وهو «المعنى التابع للدلالة الأصلية للعبارة »[21]، ومن ثمة فإنه يلاحظ أثناء عملية التفاعل الخطابي ويقوم على أسس تداولية. وفي تعريف آخر «هو ما يرمي إليه المتكلم بشكل غير مباشر جاعلاً مستمعه يتجاوز المعنى الظاهر لكلامه إلى معنى آخر»[22]. فالاستلزام الحواري بحث في المعنى المتضمن في العبارة، والذي يتحقق بعد معناها الحرفي . كما نستنتج أن هناك اختلافا بين ما يقال وما يقصد؛ فما يقال يتجلى في الكلمات حرفياً، أما ما يقصد فهو ما يريد المتكلم توصيله بطريقة غير مباشرة إلى المتلقي، ولذا حاول **"غرايس** Grice " توضيح الاختلاف بين القوة الإنجازية الحرفية التي نستدل عليها من خلال الخصائص البنيوية للمقال كصيغة الفعل الإنجازية والتنغيم وبعض الأدوات كأدوات الاستفهام والنهي ...، وبين القوة الإنجازية المستلزمة التي تدرك من خلال الطبقات المقامية أو السياقية بصفة عامة [23]. وتساءل لماذا يقول القائل شيئاً وهو يقصد ما يقوله ولكنه يريد أن يقول أيضاً شيئاً آخر؟ وكيف يمكن للسامع أن يفهم العمل اللغوي غير المباشر في حين أن الجملة التي يسمعها تقول شيئاً آخر؟ [24].

يؤكد " بول غرايس Paul Grice" في هذا المقام أن التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر إذا نظر فيه فقط الشكل الظاهري لهذه العبارات . وحتى يتحقق ذلك اقترح جملة من الضوابط يجب توافرها وهي[25]:

1 . معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقة بمستمع؛ أي تفاعل خطابي.

2 . المقام الذي تنجز فيه الجملة؛ أي الظروف المحيطة بعملية التلفظ.

3 . مبدأ التعاون **"Principe de coopération "**

ولتوضيح ذلك نورد عبارة **"هل إلى مرد من سبيل؟"** كمثال لمعرفة دلالات هذه العبارة وضع " مسعود صحراوي " شكلاً مشجراً وضَّح فيه ذلك كالآتي[26]:

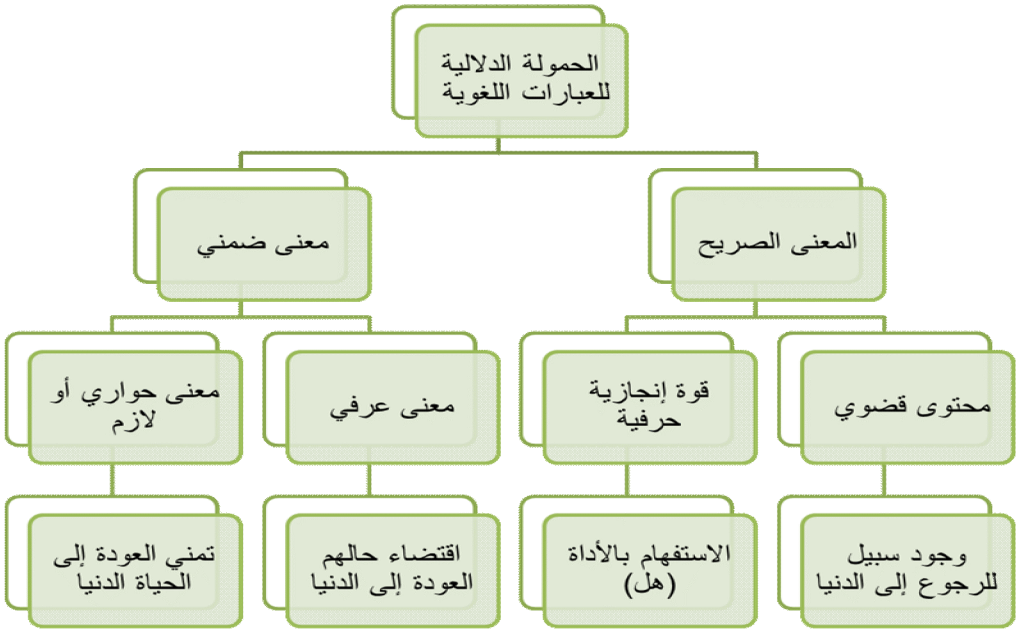

وفي الأخير نشير إلى أن هذه المبادئ التي وضعها " بول غرايس Paul Grice" كان لها دور كبير في تفسير المعنى الظاهر والمعنى الخفي غير أنها غير كافية وغير قادرة على تفسير كل الأفعال الكلامية. كما صرح بذلك بعض الباحثين اللسانيين كأحمد المتوكل مثلا.

6 . أهم الفروق بين الأفعال الإنجازية المباشرة وغير المباشرة:

ميّز الباحثون بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة بوضع جملة من الضوابط وهي كالتالي[27]:

1. أنّ القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة فموكولة إلى المقام الذي لا تظهر قوّتها الإنجازية إلّا فيه.

2. أنّ القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإن قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام.

3. أنّ القوة الإنجازية غير المباشرة لا نتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه. من هنا لم تعن النظريات الشكلية إلا بالقوة الإنجازية أو الحرفية، أما غير المباشرة أو غير الحرفية فتقع خارج نطاق اهتماماتها.

كما يعتبر (العرف) من المميّزات الأساسية بين ما هو مباشر وغير مباشر من الأفعال، ويتضح ذلك في قول **"محمد العبد"**: «إن العرف هو ملمح رئيس للتمييز بين ما هو مباشر وما هو غير مباشر»[28]؛ أي أن المتلقي بإمكانه التمييز بين الفعل المباشر وغير المباشر بتخمينه وقد يختلف ذلك من متلق إلى آخر، فللإنشاء عند القانونيين رافدان أساسيان[29]:

. الأول: رافد لغوي يتمثل بالإنشاء الصريح الذي يأتي بالصيغ اللغوية: يجب، ويخطر، ويمنع، ولا يجوز، ويجوز، وهذا الإنشاء يختص بألفاظ دالة عليه.

. والآخر: عرفي يتمثل بالإنشاء الأولي (غير الصريح) فمن الأحكام ما لم توضع له صيغة إنشائية خاصة به، والعرف هو الذي جعل من بعض العبارات دالة على الإنشاء، فالبيع والزواج ليس لهما إلا صيغة الإخبار، وجعله العرف القانوني إنشاء.

يتّضح مما سبق أنّ «المنوال المفهومي للأفعال الإنجازية الصريحة يتحقق عندما يطابق الفعل الإنجازي قصد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقة حرفية لما يريد أن يقول»[30]. ومن ثمة فالفعل الإنجازي المباشر هو ما يتم إدراكه من خلال اللفظ، متى لم يخرج عن أصل استعماله، وذلك ضمن سياق لغوي محدد. أما الفعل الإنجازي غير المباشر، فهو الذي يتجاوز المعنى الحرفي للقول ومطابقته له إلى المعنى المجازي المتضمن في القول الذي يحيل عليه السياق.

7 . الأفعال الكلامية غير المباشرة في عيون البصائر وفق تصنيف "جون سيرل John Searle"

اعتمد سيرل في تصنيفه للأفعال الكلامية غير المباشرة على جملة من المعطيات اللغوية وغير اللغوية وانطلق مما قدمه أستاذه أوستين وطوره ومن بينها:

7 . 1 . الإثباتيات (Assertives): ويطلق عليها الإخباريات و التقريريات، و يتم فيها تقديم الخبر من طرف المتكلم من خلال تركيزه على قضية ما كحقيقة واقعية للمستمع بوصفه تمثيلا لحالة موجودة في العالم، وتنطوي على اتجاه ملائمة من الكلمة إلى العالم، وشرط الصدق فيها هو الاعتقاد، ويمكن أن تكون صادقة أو زائفة، ومن أمثلتها: الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات وغيرها[31]، ولهذا الصنف أغراض إنجازية مباشرة كالوصف والإخبار وأغراض إنجازية غير مباشرة كالمدح والوعد والوعيد والدعاء وغيرها.

وقد تجلت جملة من الأفعال الكلامية غير المباشرة من هذا النوع في خطابات "محمد البشير الإبراهيمي" من بينها: قوله لرجل من رجال الإدارة الحكومية الجزائرية أثناء تفاوضه معه في أسباب حرمان المعلم من إعطائه رخصة التعليم: «**قلت له: وأنا أؤكد لك أن كل ما زرعتموه في المستعمرات من خبائث ورذائل، وسقيتموه بماء الحرية لينمو ويترعرع، فتفسدوا به أهلها وتهلكوهم- ستجنون ثمراته المرة في أبنائكم وفي وطنكم. فأنتم تسخّرون الشيطان للإفساد من حيث يشعر، ولكنه يعود فيسخركم للفساد من حيث لا تشعرون**»[32]، فلطالما اهتم "البشير الإبراهيمي" بالجانب التربوي في منهجه الذي خطه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعيا منه بقيمة هذا الجانب في تحقيق النهضة المنشودة، لأن « نهضة الأمة مرهونة بنوع الجهود الفكرية والتربوية والعلمية التي يبذلها العلماء والمعلمون في مجال التوجيه والإرشاد والبناء الفكري، وتصحيح واقع المجتمع»[33]، فقد حمل هذا القول أفعالا كلامية غرضها الإنجازي تمثل في الإخبار والتوكيد في قوله(**قلت، أؤكد، زرعتموه،سقيتموه، ينمو، يترعرع**)، فالبشير الإبراهيمي يؤكد لرجل الحكومة أن كل أعمال الفساد التي يقومون بها في أرض الجزائر والتي هي بلدهم، سيكون ضحيتها أبناءهم بالدرجة الأولى، ويمثل هذا المعنى الصريح للقول، أما القوة المتضمنة في القول هي الوعيد في قوله

(**ستجنون**) فالبشير الإبراهيمي يتوعد هؤلاء المفسدين والفساق بالعقاب المتمثل فيما ينعكس عليهم سلبا وجني ثمراته المرة في أبنائهم ليعكر صفو حياتهم، وتكمن القوة الإنجازية لهذا القول الكلامي غير المباشر في أنّ قرارات الحكومة مكرسة لتبعية التعليم للحكومة.

7 . 2 . **التوجيهيات، الطلبيات (Directives)**: وهدفها توجيه المستمع إلى فعل شيء ما، يفرضه عليه المتكلم، كما تعد من الطلبات والأوامر، ولا يمكن أن تخضع للصدق أو الكذب. حيث نلحظ استعمالا متنوعا لأغراضها في "عيون البصائر"، نذكر منها قول "البشير الإبراهيمي": «**دع الطنطنة لعشاق المظاهر، والتهاويل، ودع الأصداء الفارغة تجب نفسها، ودع الدعوى للمتشبعين بما ليس فيهم، وهات الحقيقة التي لا تدحض، والحجة التي لا تنقض**»[34]. كلها أفعال كلامية أمرية (**دع،هات**) تلائم غرض الكاتب المتمثل في النهي الطلبي الداعي إلى الحقيقة في وصف جمعية العلماء المسلمين ودورها في حماية اللغة العربية، وينهي عن كثرة الكلام والأصداء الفارغة المبنية على النوايا السيئة بغرض الظهور و الإبانة. وهنا خرج النهي عن معناه الأصلي إلى معنى فرضه عليه السياق، ممثلا في قوته الإنجازية المتضمنة في القول وهي الدعوة إلى إظهار الأعمال الحقيقية والمواقف السامية والأهداف النبيلة المبنية على الحجة والبرهان لجمعية العلماء المسلمين في خدمة العروبة بعامة واللغة العربية بخاصة.

7 . 3 . **الإلتزاميات (commissives)**: يحيل هذا النوع من الأفعال إلى معنى التزام المتكلم بفعل شيء ما للمخاطب في المستقبل، ويكون شرط الإخلاص في هذا الالتزام هو القصد، وأما عن اتجاه المطابقة لهذه الأفعال فيكون من العالم إلى الكلمات، وخير ما يمثلها نجد أفعال الوعد والوعيد[35].

وقد نال هذا النوع نصيبا في " عيون البصائر"، نحاول إخراجها في قول "الإبراهيمي" مخاطبا أولئك الذين تولوا تقسيم فلسطين : «**كذّبتكم المخيلة أيها الأقوياء !... إن العرب إذا سيموا الحيف. حكموا السيف، وإنهم سيأخذون حقهم بالدم الأحمر في حين أراد اليهود استلابه منهم بالذهب الأصفر. وإن الزمان سيأخذكم بهذه الدماء المراقة. أخذ الأرض بفرس سرّاقه؛ وإن التاريخ سيتعصب بكم عارها وشنارها، وسيئاتها وأوزارها** »[36]، ففلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، واستقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية، وفي هذا القول فعل كلامي غير مباشر وهو الوعد للعرب بأخذ حقهم وتحررهم، وتضمن هذا الوعد فعلا كلاميا آخر وهو الوعيد لغير العرب (اليهود) بتحمل العيب والعار والإثم، ولدعم القوة الإنجازية لهذه الأفعال لمّح الإبراهيمي إلى أنّ فلسطين ليست لعرب فلسطين لوحدهم، وإنما هي للعرب كلهم.

7 . 4 . **التعبيريات (Expressives)**: وهي التي «تعبر عن حالات نفسية، ويمكن لها أن تتخذ شكل جمل تعبر عن سرور أو ألم أو فرح أو حزن أو عما هو محبوب أو ممقوت»[37]. و ترتبط بالحالة العاطفية للمتكلم وما ينجر عنها من ردود أفعال واقعية ويتمثل غرضها الإنجازي الذي يتلخص في الإخلاص كشرط أساسي. وسنحاول رصد هذا النوع في خطابات "البشير الإبراهيمي" ومنها:

تعبيره عن حزنه على حال المعلمين الأحرار قوله : « **أي أبنائي! إن هذا القلب الذي أحمله يحمل من الشفقة عليكم، والرحمة بكم، والاهتمام بشؤونكم، ما تنبث منه الحبال وتنوء بحمله**

الجبال، وهو يرثي لحالكم من الغربة وإلحاح الأزمات ويودّ بقطع وتينه لو أزيحت عللكم، ورقع بالسداد خللكم، ولكنكم جنود، ومتى طمع الجندي في رفهنية العيش؟ وأسود، ومتى عاش الأسد على التدليل؟ وهو يشعر أن التدليل تذليل»[38] ، فهذه أفعال كلامية تعبيرية غير مباشرة أعانت الكاتب على تحقيق الغرض الإنجازي المباشر المراد وهو الحزن والرثاء، كما تضمن هذا الأخير فعلا غير مباشر هو إظهار القوة، مدعما قوته الإنجازية باستفهامٍ وظف فيه مفردات تشتمل معنى القوة منها (الجندي، القوة).

7 . 5 . التصريحات، (Déclarations): ويطلق عليها الإيقاعيات و الإعلانيات كذلك وهي التي تسعى بدورها إلى تغيير الواقع بألفاظها كما تهدف إلى تحقيق أغرا ض إنجازية صحيحة كألفاظ النكاح، والطلاق، والأحكام الصادرة عن القضاة وغيرها، والشرط الأساس فيها هو المطابقة بين الكلمات والعالم الخارجي أو العكس فباستعمال التصريحيات من طرف المتكلم نجد أن العالم يتغير بهذه الأقوال المصرح بها[39].

وقد توافرت هذه الأفعال في "عيون البصائر". في مواطن عدة من ذلك قول البشير الإبراهيمي في مقال متعلق بالطلاق: «**يخرج الرجل إلى السوق، أو يجلس في المقهى، ويختلف مع آخر في شأن جليل أو حقير فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق حانثا فتكون النتيجة خراب بيت، وتمزيق أسرة، وتشريد بنين. ويتناقش آخر مع صهره في زيارة أو استزارة فيحلف أحدهما أو كلاهما بالطلاق، وتكون النتيجة تقطيع أرحام، وتكوين فتنة. ويتنازع اثنان الحديث في السياسة أو التفضيل بين شخصين أو في الغيم أو الصحو، فتجرى ألفاظ الطلاق متناثرة متعددة، كأنها لازمة الحديث، وكأن الكثير منهم لم يتزوج إلا ليجعل الزوجة أداة يمين، أو ليصدقه الناس حين يحلف لعلمهم أنه متزوج. وكثيرا ما تطلق الزوجة بهذه الإيمان والالتزامات العابثة، وهي لا تعلم من ذلك شيئا ولم تتسبب فيه... ليت شعري أيدري المتساهلون في الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمتهم؟**»[40]. وهو أسلوب استفهامي يحمل الكثير من المعاني المستترة خلفه ضارب في الصميم، ينطوي على حشد فكري ضخم يمس القارئ في الأعماق، ويدعوه إلى مراجعة النفس وترتيب معطياتها بما يتوافق مع الفكر السديد، فقد تحقق الفعل التصريحي على لسان "الإبراهيمي" ضمن هذه الأقوال (**تمزيق أسرة ، تشريد بنين، تقطيع أرحام وتكوين فتنة**) بشكل غير مباشر، حيث صرّح بعواقب النطق بألفاظ الطلاق التي يعبث بها الناس، فأدى بذلك الغرض الإنجازي والقوة المتضمنة في هذه الملفوظات وهي النهي عنه لأن أبغض الحلال إلى الله هو الطلاق، والتشدد في إيقاعه لما يصحبه من مآس متمثلة في الحقد والبغض والتألّم والتظلم.

8 . خاتمة:

في خضم هذه الدراسة العلمية حاولت مقاربة خطابات الشيخ "البشير الإبراهيمي" تداولياً، والوقوف على مدى صلاحيتها لإسقاط آليات نظرية الأفعال الكلامية عليها، إضافة إلى التّأكد من كفاءتها اللسانية في ملامسة المعاني المرادة من خلال الأنساق اللغوية، فأفضت هذه الدراسة إلى الكشف عن خبايا الخطاب اللغوي بتقديم قراءة تأويلية لهذه الخطابات اللغوية الإصلاحية ، فاستخلصت جملة من النتائج أهمها:

1 . ترى نظرية الأفعال الكلامية من منظور تداولي أنّ اللغة تعبّر عن أفعال، وتعبّر أيضا عن مواقف فعلية لذا سمّيت بالعبارات التي تتلفّظ بها أفعال الكلام.

2 . يعتبر الفعل الإنجازي أهم عنصر من العناصر التي تمثل الفعل الكلامي؛ إذ هو الذي ينجز من خلاله الفعل الحقيقي من وراء الكلام الحرفي، فتوصل المتلقي على مقصد الباث في مقام معيّن، كما أن للمقام ومقتضى الحال دوراً في مساعدة المخاطب على إدراك المعنى المستلزم(غير المباشر).

3 . تكون الأفعال الكلامية غير المباشرة في الخطاب اللغوي ضمنية وخفية، على شكل قوة إنجازية تكمن داخل بنيته. وتسعى إلى إقحام عالم المتلقي وإرغامه على إمعان عقله، في فهم ما خفي من أسرار في هذا الخطاب. وهو ما يجعل الفعل الكلامي يتجاوز منطق التفسير إلى التأويل المفتوح على تعدد الاحتمالات والقراءات.

4 . أما بخصوص رؤيتنا في تقسيم الأفعال الكلامية عند الدارسين التداوليين، فقد استقر اختيارنا على التّقسيم الخماسي المعدّل الذي قدّمه "سيرل Searle" لأنه تجاوز القوة الإنجازية للقول وهو أقرب إلى الحقيقة في ارتباطه بالغرض الإنجازي الذي يبتغيه المرسِل.

5 . إذا كان الخطاب الإصلاحي للشيخ "البشير الإبراهيمي" كباقي الخطابات اللغوية التواصلية الأخرى يهدف إلى جعل المتلقي مهيّأ للتلقي، فإنّ كلا من الفعل الكلامي المباشر (الظاهر) والفعل الكلامي غير المباشر(المضمر) يساهمان في تحقيق الغرض الإنجازي للخطاب عنده.

6 . تنوّعت أصناف الفعل الكلامي من تعبيريات وإثباتيات والتزاميات و تصريحيات، ولكن الحضور المكثف في الخطابات كان للتوجيهيات، نظرا لكون الخطاب اللغوي الإصلاحي يروي أحداثاً تاريخية.

7 . تعتبر الأفعال الكلامية الأكثر استعمالا في خطابات "البشير الإبراهيمي" اللغوية، كما يغلب استعمال القوة الانجازية الضمنية أكثر من القوة الانجازية الصريحة، ولعلّ ذلك راجع إلى ثقة المرسل في الكفاية التداولية للمتلقي، وفي كفاءته على التّأويل والفهم.

9 . الهوامش:

[1]. ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة حافظا إسماعيل علوي ، علم الكتب الحديث اربد 2010، ص 90,

[2] John R seal : expressionand meaning Eambridy University press VSA 1999. p3..

[3].Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage John R. Searle, traduit par Joelle Proust, les édition de m inuit, Paris, 1982, p71.

[4].Ibid, p 71.

[5]. فلسفة الفعل، من محاولات التأسيس إلى آفاق النقد، عبد العزيز العيادي والبشير ربوح، ص347.

[6]. ينظر: التداولية عند العلماء العرب ،مسعود صحراوي ص35.

[7]. في البرغماتية الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، الصراف ، ص 124.

[8]. استراتجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية ، الشهري عبد الهادي ص 370.

[9]. ينظر: في البراجماتية ، الأفعال الإنجازية في العربية المعاصرة ، علي حجي الصراف ، ص 124.

[10] . المرجع نفسه، ص 123.

[11] . المرجع نفسه الصفحة، نفسها.

[12] . إستراتيجيات الخطاب , الشهري عبد الهادي , ص 137

[13] . التداولية من أوستين إلى غوفمان , فيليب بلا نشيه , تر: صابر حباشة , دار الحوار, سوريا , ط1 2007 , ص 68

[14] . التداولية من أوستين إلى غوفمان، فرانسواز أرمينكو، تر صابر حباشة ،ص 68.

[15] ..Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage, John R. Searle, p72.

[16] . سورة البقرة الأية 23.

[17] . الأمر والنهي في اللغة العربية، نعيمة الزهري، ص 166

[18] . آفاق جديدة فب البحث اللغوي المعاصر، أحمد محمود نحلة،ص84.

[19] . Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage, John R. Searle, p73

[20] ..Voir : sens et expression, études de théorie des actes de langage, John R. Searle, p73.

[21] . الإستلزام الحواري في التداول اللساني , العياشي أدراوي , بيروت , الدار العربية للعلوم ط1 , 2011, ص 18.

[22] . المرجع نفسه , الصفحة نفسها .

[23] . اللسانيات الوظيفية : مدخل نظري , أحمد متوكل , منشورات عكاظ , الرباط , د ط 1987 , ص 22

[24] . التداولية اليوم , علم جديد في التواصل . آن روبول وجاك موشلار ص 268 .

[25] . الإستلزام الحواري في التداول اللساني , العياشي أدراوي, ص 18.

[26] . التداولية عند العلماء العرب , مسعود صحراوي ، ص36.

[27] . ينظر: آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، أحمد متوكل، ص22.

[28] . ينظر: النص والخطاب والاتصال، محمد العبد، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة،ط1، 2005،ص289.

[29] . اللسانيات التداولية في الخطاب القانوني(قراءة استكشافية للتفكير التداولي عند القانونيين)، مرتضى جبار كاظم، دار الأمان، الرباط، ط1، 2015، ص46.

[30] . التداولية اليوم علم جديد في التواصل، آن روبول وجاك موشلار،تر سيف الدين دعفوس، ومحمد شيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، لبنان،ط1، 2003، ص268.

[31] . ينظر: اللغة والعقل والمجتمع، جون سيرل، ص217.

[32] . عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص240.

[33] . التربية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، عبد القادر فضيل، مجلة الوعي، ع2، ص40.

[34] . المرجع نفسه، ص35.

[35] . ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، ص79.

[36] . عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص502.

[37] . التداولية، جورج يول، تر: قصي العتابي، لبنان، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1،2010، ص90.

[38] . عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص292.

[39] . ينظر: التداولية، جورج يول، ص89.

[40] . عيون البصائر، محمد البشير الإبراهيمي، ص331.